حركات العيون ، ودلالاتها النّفسية في القرآن الكريم

(دراسة في اللّغة غير اللّفظية)

ملخـــص البحـــث

حاول الباحثان في هذا (البحث) الكشف عن اللغة غير اللفظية في القرآن الكريم بوساطة جارحة العين وأثرها التواصلي ، ودلالتها النفسية ، وذلك لغرض بيان أهمية هذه اللغة ، وإنها في أماكن معينة ، ومواقف مشهودة ، تكون أبلغ في التعبير من اللغة اللفظية ، عما سنرى في ثنايا البحث..

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي علّم القرآن خلق الإنسان ، وعلّمه البيان ، والصلاةُ والسلامُ على المبعوث رحمةً للعالمين ، أفصح من نطق بالضاد ، وعلى آله وصحبه وسلم :

أما بعد :

تعد اللغة بألسنتها المختلفة الوسيط الذي نستطيع من خلاله إيصال أفكارنا ، وآرائنا للآخرين ، إذ يمكن باللّغة التعبير عمّا يجيشُ في دواخلنا من مشاعرٍ ، وأحاسيس ، وانفعالات .

وإذا كان مفهوم التعبير ، والتواصل قد ارتبط باللّسان ، فكانت اللغة الناطقة هي المُعبّرة عمّا في داخل الإنسان ، فإنها لم تكن الوسيلةَ الوحيدة للتعبير عمّا يختلج في داخل الإنسان من انفعالات ، أو إشارات ؛ إنما هناك وسيلةٌ أخرى قد تكون أكثر أثراً من اللّغة الناطقة ؛ ألا هي اللّغة غير اللفظية ، والتي عرفت بـ (لغة الجسد) .

عُدّت اللغة غير اللفظية ، أو (لغة الجسد) عُنواناً متداولاً معروفاً في الدرس اللغوي اليوم ، وهي تعدو الأحوال الجسدية والهيئات إلى كونها ناطقة دالّة على حواس النفوس ، والضمائر المستترة .

إنّ القرآن الكريم – وهو المعجزة الخالدة على مرّ الأيام – قد استخدم هذه اللغة (غير اللفظية) في كثيرٍ من آياته للتعبير عمّا يدور في نفوسِ كثيرٍ من الأشخاص ؛ من أفكار ، ومعتقدات ، وتساؤلات . وقد جاء ذلك كلّه في أسلوب بليغٍ ، ومعجز .

إنّ (اللّغة غير اللفظية) ذات بُعدٍ نفسيٍ ، وأثرٍ على المخاطب والمتلقي أكثر من اللغة الناطقة أحياناً ؛ فالمخاطب الذي يُمثّل دور المتكلّم عن طريق الإشارة ما أخفى الكلام ، واستعاض عنه بالإشارة إلا لانفعالات نفسية ، لا يستطيع الإفصاح عنها بالمنطوق . والمتلقي الذي سيقبل هذه الإشارة فإنها تحدث فيه أثرا نفسيا قد لا تُحدثه اللّغة النّاطقة .

من هنا وقع الاختيارُ على موضوع هذا البحث ، وقد تمت تسميته بـ (حركات العيون ، ودلالاتها النّفسية في القرآن الكريم : دراسة في اللّغة غير اللّفظية) ، وإنما اكتفينا بلغة العيون من الجسد ؛ لأنّ الموضوعَ واسعٌ ، لا تتسِعُ هذه الورقاتُ المحدودة لتناوله بصورةٍ كاملةٍ ، ولعلّنا – إن أمدّ الله في العمر ، وسمح الظرفُ – نتمكن من استكمال بقية أركان هذا البحث العميق في بقية أجزاء الجسد في بحوث أخرى.

إن علّة البحث والتساؤل الذي أثاره ، وحاول الباحثان الإجابة عنه يتمثل في السؤال الآتي : ما هو مفهوم اللغة غير اللّفظية في المنظور القرآني ؟ وما هي المَواطن التي استخدمت فيها اللغة غير اللفظية ؟ وهل يمكن أن نجعل قاموساً لدلالة الحركات غير اللفظية في القران الكريم ؟ والتساؤل الآخر الذي أراد البحث إثارته هو: ما هو الأثر النفسي للغة غير الناطقة على المخاطب ؛ أي المتكلم ، أو الخارجة منه الحركة ، والمتلقي ؛ أي الذي تقع عليه أثر هذه الإشارة؟ هذه بعض الاسئلة التي حاول البحث الإجابة عنها .

ومما ينبغي الإشارة له أيضا أنّ ثمة دراسات سابقة تناولت الموضوع من الضروري الإشارة لها ، ويمكن إجمالها في نوعين على وفق الآتي :

١- الدراسات العلمية :

أ- الاتصال غير اللفظي في القران الكريم : د. محمد أمين موسى أحمد : وهي عبارة عن (رسالة جامعية) تحدث فيها صاحبها عن الاتصال غير اللّفظي بجوانبه المختلفة ، لكنّما ركز الباحث فيها على الجانب الإعلامي ولم يتحدث عن ذلك كلغة للتفاهم ، والتأثيرات النفسية التي تُحدثها هذه اللغة ، وهي دراسة قيمة في بابها ؛ غير أنّه يعوزها الكثير من الأمور والمعالجات .

ب- الاتصال الصامت وتأثيره في الآخرين: دراسة قرآنية موضوعية : وهي (رسالة ماجستير) من إعداد الباحثة (فاطمة عرفات الحلو) مقدمة إلى (الجامعة الاسلامية في غزة : كلية أصول الدين) تحدثت فيها الباحثة عن مفهوم الاتصال الإنساني ، والاتصال الصامت ، ولم تبيّن الأثر النفسي لهذا التواصل ودلالته الإعجازية في القران الكريم ؛ إلا أنها دراسة لا تخلو من فائدة .

ت- لغة الجسد في القران الكريم : وهي (رسالة ماجستير) مقدمة إلى (جامعة النجاح الوطنية) ، من إعداد (أسامة جميل عبد الغني ريايعة) ، وقد عرض الباحث فيها لغة الجسد عارضاً لبعض أشكاله في القرآن الكريم ، لكن الباحث لم يستوعب كذلك جوانبها جميعا ، كما إنه لم يتحدث عن أثر هذه اللغة على المخاطب والمتلقي ، وأسباب استعمال هذه اللغة في بعض المواطن القرآنية .

ث- الاستخدامات الدعوية للإشارة في القرآن والسنة : (رسالة ماجستير) وهي من إعداد الطالبة (نوير بنت حسين السهلي) ، وهي مقدمة إلى (كلية الدعوة والإعلام) في (جامعة محمد بن سعود الإسلامية) ، وقد ركزت فيها الباحثة على الأثر الدعوي للإشارة ، وأهمية الإشارة اليدوية دون ذكرٍ لأهمية هذه اللغة ، وأثرها النفسي .

ج- لغة الجوارح ودلالاتها في القرآن الكريم : (دراسة موضوعية) ، وهي (أطروحة دكتوراه) من إعداد الباحث (علي عبد كنو) مقدمة الى (كلية الآداب) في (الجامعة العراقية) ، وقد ركز فيها الباحث على حركة الجارحة ، ودلالتها دون الإشارة إلى أهمية هذه اللغة وآثارها الأخرى ، كما أنّ في تسمية هذه اللغة بلغة الجوارح نظر؛ لأنها تبتعد عن مفهوم اللّغة غير اللفظية .

٢- الكتب والبحوث :

أ- البيان بلا لسان : دراسة في لغة الجسد ، تأليف الدكتور مهدي أسعد كرار ، أستاذ اللسانيات والعلوم اللغوية رئيس دائرة بصورة اللغة العربية وآدابها بجامعة بيرزيت . تحدّث المؤلّف في كتابه هذا عن لغة الجسد ، مؤصّلاً لها في التراث اللغوي العربي ، ومتحدثاً عن بعض صورها في القرآن الكريم والسنة النبوية ، إلا أن الباحث ركز على الجانب البلاغي المجازي في هذه اللغة بصورة خاصة .

ب- الاتصال الصامت وعمقه التأثيري في الآخرين في ضوء القرآن الكريم والسنّة النبوية : وهو بحث مقتضب من إعداد الدكتور (عودة عبد عودة عبد الله) ذكر فيه بعض صور الاتصال من غير بيان لعمقه التأثيري .

وقد اعتمد الباحثان في هذا الجهد على مصادر مختلفة تنوّعت ما بين مصادر تفسيرية ، وأخرى لغوية ، فضلاً عن دراسات علمية أكاديمية وبحوث رصينة معاصرة ، وكتب مؤلفة لها صلة بموضوع البحث .

وكان المنهج الذي استخدماه في هذا البحث هو (المنهج الاستقرائي) الذي يعمل على تتّبع الأمور الجزئية بالملاحظة حتى تنتج منها أحكام عامة ، وهو ما يعتمد على تتبع الإشارات القرآنية ، واستنتاج مفاهيم كلية منها .

ومن إجراءات البحث المهمة التي قام بها الباحثان قيامهما بالتعريف بالألفاظ الغريبة ، وعزو الآيات القرآنية إلى سورها من القرآن الكريم ، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة ، ووضع الهوامش على وفق قواعد البحث العلمي .

وقد تمّ تقسيم البحث على مقدمة ، ومبحثين رئيسين ، وخاتمة . وقد كان المبحث الأول بعنوان : مفهوم اللّغة غير اللفظية والتأصيل لها ؛ وهو يشتمل على مطالب عدّة . أما المبحث الثاني فكان عن : لغة العيون في القرآن الكريم وبيان تأثيرها النفسي وهو يشتمل على مطالب مختلفة أيضا . وتضمنت (الخاتمة) أهم النتائج والتوصيات التي خرج بها البحث .

وبعد كل هذا لا يمكن الادّعاء أن البحث قد استكمل جوانبه ؛ إنما هو جهد المقل بذل فيه الباحثان جهدهما لخدمة القران الكريم المعجزة الخالدة ، ثم اللغة العربية وأدبها العظيم ، فما كان فيه من صواب ؛ فذلك من فضل الله علينا ومننه ، وما كان فيه غير ذلك فهو زلل وعثار نلتمس العذر له ، والله ولي التوفيق .

المبحث الأول : اللغة غير اللفظية (المفهوم والتأصيل) :

احتفى اللغويون قديماً وحديثاً بتعريف ابن جنّي للغة إنها ((أصوات يُعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم))[١] ، وقد رأوا في هذا التعريف بُعداً براغماتياً يؤسس على نحو غير ملتبس عقداً وثيقاً بين (الخطاب) و(المقاصد) . وهذا التعريف يروق للبنيويين من جهة ؛ إنه عوّل في التعريف على المظهر المنطوق حين جعل اللّغة أصواتاً .

ولو نظرنا بعمق إلى هذا التعريف لوجدنا أنه تعريفٌ مجازيٌ في شطره الأول ؛ فابن جني (رحمه الله) اجتزأ بـ(الأصوات) عن سائر الأنظمة التي تألفت منها البنية اللغوية . وبناء على هذا يصبح المقتضى رد هذا التعريف إلى الحقيقة دون المجاز ، وربّما يصح هذا الوصف الذي صدر عن (ابن جنّي) على ثلث اللغة ، أو ما يقرب من ذلك ، وما سوى ذلك فلا ينطبق عليه ذلك التعريف [٢] ؛ ذلك أن اللغة هي إطار لنقل الأفكار ، والأحاسيس ، وما يجيش بالنفس بأي وسيلة كانت ؛ سواء بالمنطوق ، أو المكتوب ، أو غير الملفوظ ، وهو المعبر عنه بـ (لغة الجسد) فما هو هذا المفهوم إذن ؟

المطلب الاول : دلالة اللغة غير اللفظية :

١- اللغة غير اللفظية ؛ المفهوم والتصوّر:

إنّ الوقوف على مفهوم (اللغة غير اللفظية) يحتّم علينا أولاً أن نعرفَ الأبعاد الدليلية في اللغة حتى نستطيع تصوّر هذا المفهوم ؛ ذلك أن اللغة ((جسداً بنيوياً يشفّ عن معنى ، وإنّ هذا الجسد مؤتلف من مستوياتٍ لغويةٍ ، وإنّ كل مستوى من تلكم المستويات يفضي إلى المعنى ؛ قائم برأسه))[٣] . وباستجماع هذه المستويات التي تنمثل في (المستوى الصوتي ، والمستوى الصرفي ، والمستوى المعجمي ، والمستوى التركيبي ينتج بناءٌ لغويٌ ، أو جسد اللغة البنيوي ، وينتج عن هذا البناء مستوياتٌ دلاليةٌ تعطي المعنى البنيوي المستقى من النظام اللغوي ، فنحن كأبناء لغة واحدة نتواصل فيما بيننا عن طريق تحليل كلام بعضنا البعض عن طريق تمايل كلام بعضنا للبعض الآخر ؛ سواء أكان هذا التواصل مسموعاً ، أو مقروءاً ؛ أي إن كلانا المرسل ، والمستقبل يعود إلى مرجع نظامي مشترك ؛ فنشأ التواصل عن طريق هذا الاشتراك . وإذا انعدم هذا المشترك انعدم التواصل وكان التفاصل ، ولكن السؤال الذي يثار هنا هو ما النظام اللغوي الذي يُنشأ الاشتراك ، وينتج التواصل ؟

إن النظام اللغوي ليس مقصوراً على العلم بمعاني المفردات المعجمية ، فهذا لا يؤلف نظاماً البتة ، ولا يشكّل لغة مبتغاها التواصل .. ولكن مجموعة من المستويات البنيوية المتداخلة التي تعمل في تناغم كلي [٤] ؛ فالكلام الفعلي هو انتاج اللغة الجمعية الحاضرة في ذهن الناظم والمتلقي ، فالمستوى الصوتي يُعطينا الملمحَ الخاص الذي يميّز الحروفَ بعضها عن بعض الآخر في الدلالة والصفة ؛ فهو المدخل الأولي لفهم المعنى ؛ بل إنّ هذا المستوى الأولي

يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمسمياتٍ غير لفظيةٍ تحدد لنا البُعد النفسي للمتكلم ، إذ نحن كثيرا ما نحدّد نفسية المتكلم من خلال نبرة صوته ، فنقول هذا راضٍ ، وذاك غضبان ، وهذا مسرورٌ ، أو حزين ، أو خائف [٥] ، إذ ثبت علمياً ((أنّ للصوت اهتزازات محبوسة في موجات الهواء تنطلق من جهة الصوت ، وتذبذب من مصانعه المصدرة له ، فتسبح في الفضاء حتى تتلاشى ، يستقر الجزء الأكبر منها في السمع ، وبحسب درجة تذبذبها، فتُوحي بدلائلها فرحاً ، أو حزناً ، أو نَهياً ، أو أمراً ، خبراً ، أو إنشاء صدى ، أو موسيقى ، أو شيئاً عادياً ؛ مما يفسّره التشابك العصبي في الدماغ ، أو يفسّره الحسّ المتوفر في أجهزة المخ بكل دقائقها)) (٦) . وقد تعاضد البعد غير اللفظي مع البعد اللفظي هنا لإعطاء دلالة معينة للصوت الصادر .

أما (المستوى الصرفي) فهو قائم على إن العربية لغةٌ وزينةٌ قالبيةٌ اشتقاقيةٌ ، فكلّ كلمة في العربية في الغالب ماعدا الحروف وبعض الكلمات الأعجمية لها وزن صرفي ، وكل وزن ، أو قالب له معنى صرفي [٧]، وهذا المستوى يتعاضد مع سوابق ولواحق قد تكون غير لفظية لتحديد المعنى المراد لهذا الموزون أو المشتق أيضاً. أما (المستوى المعجمي) فهو ما يمكن أن نسمّيه بالدلالة الاجتماعية ؛ ذلك لأن كلمات اللغة حاملات لمعانٍ معجميةٍ معينةٍ في المعجم الجامع لأبناء اللغة الواحدة ، ومرد ذلك أن الكلمة علامة لغوية تعارف عليها أهل اللغة الواحدة فصارت عندهم ذات دلالة معينة ، وهذه الدلالة تأتلف من بُعدين ؛ هما الفكرة ، والصورة الصوتية [٨] .

إنّ هذا المستوى من الدلالة لا يقوم بنفسه أيضا ؛ بل لابد من تداخل عناصر غير لفظية في تحديد دلالة الكلمة المرادة كالسياق ، وشخصية المتكلم ، والنبر ، والتنغيم في أصوات الكلمة ، والانفعال النفسي للمتحدث .

أما المستوى الأخير وهو (المستوى التركيبي) فهو مستوى واسع قائم في معناه الكلي على نظام الجملة ، ونظام الإعراب . والإعراب يُفصح عن المعنى ، ويبيّن الفاعلية والمفعولية ، والإضافة والصفة ، وغير ذلك . وهذا المستوى له ارتباط ايضا بمستويات غير لفظية .

ومن كل هذا يبرز السؤال الآتي : إذا كانت هذه المستويات ، أو الدلالات ذات بعد مغال ، فهل استقلت بنفسها لتعطي هذا الدلالة المغالية ؟

إن ما سبق هو تلمس الدلالة في جسد اللغة ، وهذا الجسد لابد من أن يكون له محيط يشتمل عليه ، ويؤثر فيه ((ومن هنا يأتي فضل سياق الحال ، والأنظار الخارجية ، والغرائب لتفعل فعلها في تشكيل المعنى ، وبذا يكون المعنى مؤتلفاً من الرافدين ؛ المعنى المقالي ، والمعنى المقامي)) [٩]. ولغة الجسد تنتسب الى المعنى المقامي ، وهي تعد رافداً معنوياً ذي وظائف متعددة قد تغني عن الكلام المقالي ، فتصبح الإشارة أفصح من الكلام ، وقد تكون ذات بعد توضيحي للكلام . وبعد هذا التوضيح يمكن أن نقف عند مفهوم اللغة غير اللفظية بالقول إنّ الدارسين للغة غير اللفظية ، أو لغة الجسد قد عرّفوا هذه اللغة بتعريفات متعددة ؛ منها :

أ- أنّها ((نوعٌ من التواصل غير الشفهي)) [١٠] .

ب- ذلكم الحوار النفسي ((الذي يجري بين الأطراف المعنية ، والمعاني المستقلة بينهم لا من خلال النطق بل من خلال الصمت والملامح العامة للإنسان الصامت ؛ كنظرات العيون ، وتعبيرات الوجه ، وحركات الجسم)) [١١] .

وقد عرّفت اللغة غير اللفظية من ناحية البعد النفسي أنّها ((إشارات ، وإيماءات جسدية ترسل رسالات محددة في مواقف وظروف مختلفة تظهر لك المشاعر الدفينة ، وتخرجها للسطح ؛ لتظهر فتصل من خلالها معلومات ، أو أفكار عن الشخص الآخر بحيث لا يستطيع إخفاء الأفكار التي تدور في ذهنه))[١٢] .

إنّ هذه التعريفات للغة غير اللفظية وغيرها مما لم تخرج عنها في الدلالة على المفهوم نظرةٌ إلى اللغة غير اللفظية من ناحية بعدها التواصلي كما في التعريفين الأوليين ، وبُعده النفسي من الناحية السيكولوجية النفسية كما في التعريف الثالث ، ويمكن القول أيضا إنّ اللغة غير اللفظية مثلها مثل اللغة اللفظية في بعدها التركيبي والدلالي ، فهذا (دي سوسير) [١٣] يعتقد أنّ للكلمة جانبين ؛ أحدهما مادي هو الدالّ ؛ أي الصورة الصوتية ، والآخر : معنوي هو المدلول ؛ أي الصورة الذهنية التي تتولد في النفس عند ورود الدال عليها ، فاللغة غير اللفظية أو لغة الجسد كذلك أمرها ؛ إذ ((إنّ لها دالاً وهو الصورة التشكيلية التي تتجلى عليها الحركات ، حركة الكف ، أو اليد ، أو العين ، أو الحاجب ... وأما المدلول فهو الصورة الذهنية المعنوية التي نسترفد دلالتها من الدال الحركي فكلتاهما الكلمة في اللغة الصائتة والحركة في اللغة الصامتة (الجسمية) تأتلف من دال ومدلول))[١٤] .

إنّ المَلْمَحَ الذي يُفرّق بين اللّغة اللّفظية واللّغة غير اللفظية ((غير متعين في المدلول بل في ماهية الدال ، إذ إنّه في الصائتة صوتي ذو طبيعة رمزية ، وفي الصامتة حركي ذو طبيعة رمزية أيضاً))[١٥] . وإذا كان هذا من الناحية الدلالية ، فإنا نجدُ من ناحية المعنى تشابهاً وتقارباً أيضا ، فكما يوجد في اللفظي كلمة تدل على معنيين ، أو أزيد ؛ مما ينسب إلى المشترك اللفظي كالعين ، فإنّ الحركة الجسدية قد يقع تحتها معنيان ، أو أزيد ، فتحسب إلى ظاهرة (المشترك الحركي) . وخير مثال على ذلك حركة الرأس إذ يقع تحتها معان متعددة ؛ من ذلك الطرب ، أو القبول ، أو الرفض ، وكذلك عملية فرك الكفّين قد تُوحي بمدلولين ؛ أولهما : إنّ صاحب هذه الحركة قد اعتراه بردٌ فأتاها ، وثانيهما أنّهُ فرَح مُبتهجٌ [١٦] .

وفي اللغة غير اللفظية (الترادف الحركي) أيضا . فكما يوجد في اللغة اللفظية ترادف لفظي ؛ وهو دلالة الكتمان على معنى واحد ، فكذلك الأمر في اللغة غير اللفظية ، فالرفض في اللغة غير اللفظية يتم التعبير عنه بعدة دوال ((كالرفض بهزّة في الرأس ، والرفض بالإشارة باليد ، والرفضُ برفع الحاجبين إلى الأعلى مع توسّعِ العينين))[١٧].

بناءً على ما تقدم يمكن القول إن اللغة غير اللفظية ، أو (لغة الجسد) هي ((لغة برّانية تشي بأغراض نفسية جوّانية ، وتقيّد معاني ، وتؤدي أغراضاً ، وكل هذا ينسب إلى باب القول على التواصل ، والإبانة)) [١٨] ؛ ذلك

هو مفهوم اللغة غير اللفظية ، أو ما اصطلح عليه بـ (لغة الجسد) ؛ إذ هي لغة لها دالّها ومدلولها ، وزخمها المشتركي ، والترادفي ، وكل ما ينطبق على اللغة اللفظية ، فهي لغة ، ولكن من غير نطق .

٢ – اللغة غير اللفظية في القرآن الكريم :

إنّ نظرة فاحصة في آيات الكتاب الحكيم تحيل على أنّ هناك آيات كريمات قد اشتملت على أوصافٍ من الحركات الجسدية التي تَشِي باللّغة غير اللفظية ، وهذه الحركات مؤُدّية إلى معانٍ ، وهي طريقة سلكها الأسلوب القرآني من وسائل وصف المعنى وتشكيله ، فتأتي الكتابة مُعبّرة عن ذلك ؛ كتقليب الكفين في مقام الندم كما في التنزيل العزيز ، أو تقديم رجل وتأخير أخرى دلالة على الحيرة والتردد كما في كلامنا اليومي . وقد أجمع أهل العلم على إن ((الكتابة أبلغ من الإفصاح ، والتعريض أوقع من التصريح ، وإن للاستعارة مزية وفضلاً))[١٩] . ولو قيل أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى فإن هذه الحركة الجسمية التمثيلية توحي بالتردد ، وهي أبلغ من القول الصريح ((بَلغَني أنّك تتردد في أمرك ، وإنّك كمن يقول : أُخْرُجْ أو لا تَخْرُج))[٢٠] ، أو في وصف حقيقة عاشها قطب من أقطاب الحدث الكلامي ؛ أي شخص له أثره في المجتمع وقعت منه ؛ فهي واقعة فعلا ثم وصفها الله لنا على أنها كواشف لحالات نفسية كما سيتم الاشارة لذلك . ومن ذلك أيضاً ((حركة الرأس ، وهيئته ؛ كالرأس الخفيض المتضامن ، وتلوية الرأس وإنفاضه))[٢١] ، وكذلك حركة العيون وهيئاتها المتباينة بتباين الحال النفسية والسياق ، كما سيرد لاحقاً ، فثَمَّ العين المُزدرية المُستهزئة ، وثانية : الكارِهة السّاخطة ، وثالثة : الحائرة الوجلة ، ورابعة الهامزة الغامزة ، وخامسة المائلة الزائفة ، وسادسة الضيقة الكليلة .. الخ ، وقد أشار القرآن الكريم إلى اليد ودلالتها ، والوجه ، والخد ، والعنق ؛ كل ذلك على وفق توظيفٍ إعجازيٍ ، بَلَاغيٍ ينمّ ، ويشفّ عن حالاتٍ نفسيةٍ صدرت فيها هذه الحركات . ومن كلّ هذا يمكن القولُ إنّ القرآن الكريم في توظيفه للغةِ غير اللفظية قد أشار بوضوحٍ إلى الأثر النفسي البعيدِ غوره بين المُرسل والمُستقبل .

٣. مفهوم الدلالة النفسية :

إنّ المقصود بالدلالة النفسية للغة غير اللفظية هو ذلكم ((المُثير الذي يلقي أثراً انفعالاً معيناً عند الفرد ، فيحاول التعبير عنه ، وإخراجه على هيأة استجابة انفعالية))[٢٢] تتمثل في الحركات الجسدية يمكن له فهم نفسية مرسلها من خلال هذه الحركات ؛ ذلك أن هذه الحركات كثيراً ما تكون صدى لحالة نفسية معينة ، ونحن من خلال هذه الحركات نتمكن من الوصول إلى الأفكار والمشاعر وراء تلك الحركات ، فتصبح النفس الإنسانية أو النفس المرسل لهذه الحركة كتاب مفتوح يمكننا أن نعرف خباياه من خلال هذه الحركات ، وهذا ما يبينه القرآن الكريم في حديثه عن نماذج من صدرت منهم هذه الحركات ، وهذا ما سيفصح عنه البحث في صفحاته القادمة ، فإن الدلالة النفسية للغة غير اللفظية مهمة للوقوف على حنايا نفس مستخدمها ، وهذا هو المقصود بالدلالة النفسية ، وهي مهمة في الدرس اللغوي للغة غير اللفظية .

المطلب الثاني : اللغة غير اللفظية ؛ تأصيلاً :

إنّ في تراثنا الأدبي العربي كثيراً من الإشارات إلى اللغة غير اللفظية ، مما يعد تأصيلاً لهذه اللغة التي أخذت اليوم بُعداً تداولياً في الدرس اللغوي ، والنفسي والاجتماعي ، والإعلامي ، وسوف نحاول الوقوف على بعض هذه الإشارات في التراث البلاغي ، فقط و الا فهناك اشارات في التراث المعجمي و الفراسي و الاصولي خشية الاطالة و التراث البلاغي اكثر صلة بمضمون بحثنا و الجانب البلاغي كان اكثر استيعابا لهذه اللغة عبر مجازاته و كناياته .

- اللغة غير اللفظية في التراث البلاغي :

يحفل تُراثُنا البلاغي العربي – كما أسلفنا – بكثيرٍ من الإشارات إلى اللغة غير اللفظية ، وقد عبّر عنها بلغة الإشارة . ولعلّ (ابن المقفع) أوّل من تحدّث عن (الصمت ، والإشارة) ، وعدّهما من وجوه البلاغة لمّا سُئل عن البلاغة ؛ أي شيء هي فقال : ((البلاغةُ اسمٌ جامعٌ لمعانٍ تجري في وجوهٍ كثيرةٍ ، فمنها ما يكون في السّكوتِ ، ومنها ما يكون في الاستماعِ ، ومنها ما يكون في البلاغةِ ، ومنها ما يكون في الاحتجاجِ ، ومنها ما يكون شعراً ، ومنها ما يكون سجعاً ، وخطباً ، ومنها ما يكون رسائلَ ، فعامة ما يكون من هذه الأبواب ؛ الوحي فيها ، والإشارة إلى المعنى ، والإيجاز هو البلاغة))[٢٣] ، فقد جعل ابن المقفع البلاغة في الإيجاز ، وبأيّة وسيلة تفصح عن المعنى ، ومنها الإشارة .

وقد تلاه (الجاحظُ) في كتابه (البيان والتبيين) ، إذ فيه إشاراتٌ إلى لغة الجسد ، فالبيانُ عنده مفهومٌ فضفاضٌ يستقرّ في اللفظي وغير اللفظي ؛ ذلك أنّ كلّ ما توسّل به المرءُ للإبانة والتواصل يدور في فلك البيانِ عنده ، فالّلفظُ إن كانَ مُؤدياً إلى معنى ضربٌ من البيان ، ولغة الجسد ضرب آخر منه ، والاشارةُ بالثوب كذلك أمرها ، ومصطفى القول عنده في البيان أنه : ((اسمٌ جامعٌ لكلّ شيءٍ كشفَ لك قناعَ المَعنى ، وهتكَ الحِجابَ دونَ الضمير حتى يُفضي السّامِعُ الى حقيقتهِ ، ويهجمُ الى مَحْصُوله ، كائناً ما كان ذلك البيانُ ، ومنْ أيّ جنسٍ كان الدليلُ ؛ لأنّ الأمرَ والغاية التي إليها يَجْري القائلُ والسامعُ ؛ إنما هُوَ الفهمُ ، والإفهام ؛ فبأيّ شيء بَلَغْتَ الإفْهَامَ ، وأوضحْتَ عن المعنى ، فذلك هو البيانُ في ذلك الموضع))[٢٤] . ثم يذكر (الجاحظ) دلالات البيان فيحصرها في خمسٍ هي : دلالة اللفظ ، ودلالة الإشارة ، ودلالة العقد ، ودلالة الخط ، ودلالة الحال ؛ أي النصة [٢٥] .

إنّ مصطلح (الاشارة) الوارد في كلام (الجاحظ) يعني بوضوح (لغة الجسد)، أو (اللغة غير اللفظية)، فهي تحصل بتحريك بعض أعضاء الجسد للإبانة عن معنى معين ، والإشارة قد تكون أسبق من اللفظ في بيان المعنى إذ ((بها يتخلّق المعنى ، وتتعيّن المقاصد في سياقها ، فمبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت ، وهذا باب تتقدم فيه الإشارة الصوت))[٢٦] ، ثم يسوقُ أمثلة على المواضع التي تغدو فيها لغة الاشارة أسبق من لغة اللفظ .

إنّ ما ذكره (الجاحظ) من تقديمه لرتبة الإشارة على رتبة اللفظ ثمين في بابه ، يدل على عمق نظرة الجاحظ ، وعلو كعبه في العلوم ، مثل ذلك كثير استعماله في عصرنا ، فقد تتوارى اللغة الناطقة للتعمية ، والتغطية ، والإسرار لحاجاتٍ في النفس شتّى ، وتتجلى اللغة الصامتة الدالّة ، فتكون ثم ايماءات ، وحركات من الحاجب ، والعين ، والكف[٢٧] ، وقد أسمى (الجاحظ) هذه الرتبة بـ (خطاب خاص الخاص) .

ومن أمثلته ما استشهد به :

وللقلب على القلب دليلٌ حين يلقاهُ

وفي النّاس من الناس مقاييس وأشباهُ

وفي العين غِنى للمر ءِ أن تنطق أفواه[٢٨]

وقد قال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب :

العين تُبْدي الذي في قلبِ صاحبها من الشناءةِ أو ودّاً إذا كانا

إنّ العدوَّ لهُ عينٌ يقلّبها لا يستطيع لِما في القلبِ كتمانا

وعينُ ذي الودِّ ما تنفكّ مقلتها تُبدي له محجراً بشّاً وإنسانا

فالعينُ تنطقُ والأفواهُ صامتةٌ حتّى يرى من ضمير القلبِ تبيانا [٢٩]

فهذه الشواهد وكثير غيرها مما ذكره (الجاحظ) تشير إلى أهمية لغة الإشارة ، وتقدمها على اللغة اللفظية ، وقد ركّز على العين ؛ لأنها الأهم في الإفصاح عن ذلك كما يرد عندنا .

حديثُ القوم ما حدّجوكَ بأبصارهم)) [٣٠] . فإن نظر إليه بحدّةٍ ، وشدة قيل أرشقه ، وأسفّ النظرَ إليه..الخ[٣١]. وهكذا بقية الهيئات الجسدية التي أتى على ذكرها الثعالبي ، والتي تشير إلى أهمية اللغة غير اللفظية ، وعلاقتها باللغة اللفظية ، وإنها كالرافد ، أو المكمل لها .

المبحث الثاني : لغة العيون في القرآن الكريم ، ودلالاتها النفسية :

للعين ميزة في التواصل ، والاتصال بين الناس ، وكذلك في الإبانة عن حواشي النفوس ؛ لذا قيل إنّ ((العينَ بابُ القلب ، فما كان في القلب ظهرَ في العين)) (٣٢). وقد ذكر الشعراء حاسّة (العين) كثيرا ، وتحدثوا عن أثرها النفسي ، وما تُحدثه في نفوس الآخرين . من ذلك قول الشاعر :

عيناك قد دَلتا عينيَ منك على أشيـاء لولاهما ما كنـت أدريـها

والعينُ تعلمُ من عين محدثـها إن كان من حزبها أو من أعاديها (٣٣)

ومنها قول آخر :

فالعينُ تقرأ من لحاظِ جلسيها ما خُطَّ منه في ضميرِ الخاطرِ

ولكم قطوب عن وداد خالص وتـبسّمٌ عن غل صدر واغـر (٣٤)

وقد ذكر القرآن الكريم للعين صورةً حركيةً تتباينُ بتباين السياق والحال ، فانبنى على ذلك تباين في الدلالة التي تشير إليها كلُّ حركة للعين ، وهذا من باب القول ((العين تنطق والأفواه صامتة)) (٣٥) ، فلنحاول استشراف الدلالات النفسية للعيون عبر مطالب هذا المبحث .

المطلب الاول : نظرة الازدراء والدلالة النفسية :

نستطيع التعبيرُ عن بعض مشاريعنا تجاه الآخرين من خلال نظرات العين . ومن بين هذه المشاعر ، مشاعر الاحتقار والازدراء (٣٦). فقد جاءت الإشارة الى ذلك في قوله تعالى ((وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ)) سورة هود : الآية : ٣١ ، فقد تمّ التعبير عن مشاعر ازدراء بالعين من غير تكلم ، والازدراء هو افتعال من الزرايا . يقال زرى على فلان يُزري زراية وزِراية في الكسر إذا عاب واستهزأ به ، وأزرى به ازدراء فهو الاحتقار والانتقاص ، والعيب (٣٧) ، فهذه العين عين الكافر الجاحد التي يستصغر بها المؤمن الفقير ، وما كان جواب نوح (عليه السلام) إلا أنه قال إنه لا يقول لهؤلاء الفقراء الذين يستخفونهم ، ويستقلونهم ، وتحتقرهم أعينهم لن يؤتيهم الله خيراً (٣٨) . وأسند الازدراء إلى العين أنهم من أفعال النفس من باب المجاز العقلي ؛ لأن العين تسبب الازدراء غالبا ؛ لأنه ينشئ من مشاهدة الصفات الحقيرة عند الناظر (٣٩) . وهذه الحركة من العين تخفي ورائها نفسيةً متعاليةً متكبرةً ترى الآخرين دونها ، فهي حركة بكيفية ((تنم عن التحقير ، وتقليل الشأن ، كأن ينظر المرء من الأعلى إلى الأسفل

ليدلل على وضاعة المرئي ، أو ينظر من التفاته بطيئة مع تعبير وجهي يدل على الاشمئزاز)) [٤٠] . فالدلالة النفسية لهذه النظرة تمثلت في أنّها بيّنت لنا نفسية المرسل لهذه النظرة ، وأنها نفسية متعالية لا ترى إلا ذاتها وأنّ غيرها محتقر، كما أنّ هذه النظرة ذات بعد أثري في نفسية المتلقي .

المطلب الثاني : نظرة الازلاق والدلالة النفسية :

وقد تجلّت هذه النظرة ودلالتها في قوله تعالى ((وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ)) سورة القلم : ٥١ ، فالنص يفصح عن دخيلة ونفسية الذين كفروا ، وما تضمره من شرٍّ ، وحقدٍ ، وغيظٍ تجاه شخص النبي (صلى الله عليه وسلم) فيظهر ذلك من خلال نظرة الانزلاق هذه ، والزلاق بفتحتين زلل الرجل من ملامسة الأرض للطين عليها ، أو دهن قال تعالى (فتُصبِحَ صَعيداً زَلَقا) سورة الكهف : الآية : ٤٠ . ولما كان الزلقُ يفضي إلى السقوط غالبا أطلق عليه وعلى ما يشتق منه ((السقوط ، والاندحاض على وجه الكناية .. أي يسقطونك ويصرعونك))[٤١] ، وهناك استعاره مكنية فقد شبهت الأبصار بالسهام ، ورمز إلى المشبه به بما هو من روادفه ، وهو فعل (يزلقونك) وجيء بالفعل (يكاد) بصيغة المضارع للدلالة على استمرار ذلك بالمستقبل ، وجاء الفعل (استمع) ماضيا لوقوعه مع لا ، وللإشارة إلى أنه قد حصل منهم ذلك ، وليس هو مجرد فرض فالأبصار الحاقدة تتابع المبصر الذي تبغضه حتى تكا توقعه [٤٢] . وهذا ((خارج على طريقة العرب معروفة يقول القائل منهم نظر إلى فلان نظراً يكاد يصرعني به ، وذلك لا يكون إلا نظر المقت والإبغاض ، وعند النزاع والخصام))[٤٣] ، فالنظر على هذه الشاكلة هو النظرُ الحادُ الذي ينضح بُغضاً [٤٤] ، فالدلالة النفسية لهذه النظرة تمثلت في أنّ المرسل لهذه النظرة صاحب نفسية حاقدة يُفصِح عن غيظ عنيف ، وحسد عميق ، ينسكب في نظراتٍ مسمومةٍ قاتلةٍ ، يوجهها صاحب هكذا بصر إلى الآخرين ، فهي لغة أعمق اللغات ، فالبصر أفصح عمّا لم يُفصح عنه اللّسان أفصح عن حسد النفس وعمق غيضها [٤٥] . أما المُستقبِل لهذه النظرة فبسبب شدتها يكاد أن يسقط ، فالعيون تتحرك وتبطش ، وقد أثّرت في الحركة تأثيراً بليغاً ، ولكن قاربوا أن يفعلوا ذلك ، ولم يفعلوا ، فعبارة (إن يكاد) تشي بأن السقوط قارب، ولكنه لم يحصل [٤٦]

المطلب الثالث : النظرات الوجلة والدلالة النفسية

يحرص الانسان في كثير من الاحيان على اخفاء مشاعر الخوف والوجل داخله ولكن رغم هذا الحرص فأن الخوف والوجل يظهر في حركات العيون وقد صور لنا القرآن الكريم الكثير من حالة الوجل والخوف عن طريق حركات العيون من ذلك ما جاء في قوله تعالى ((إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا)) سورة الأحزاب : الآية : ١٠ ، ولنا أن نتخيل هذا الموقف أعداء يتربصون بالنبي (صلى الله عليه وسلم) وصحبه ، ومنافقين مُرجفين في المدينة ، وخطراً محدقاً كإحاطة الخندق بالمدينة ، وقد ظهر ذلك على جوارحهم ، فغدت هذه الجوارح دالّة ناطقةً بلسان المقال والحال عمّا يعتمل في نفوس المؤمنين في ذاك الموقف من

وجل، ومن خوف[٤٧] ؛ فزيغ الأبصار ميلها عن مستوى نظرها فعل الواله الجزع [٤٨] ، فقد مالت عن كلّ شيء فلم تنظر إلا الى عدوها مقبلا من كل جانب ((وعدلت عن مقرها من الدهشة والحيرة كما يكون الجبان فلا يعلم ما يبصر))[٤٩] ، فالمراد بهذا الوصف الجسدي الإشارة إلى تشتت ألحاظ العين ((وعدولها عن جهة استقامتها نظرا إلى مطالع الخوف وجزعا من مواقع السيف ومن عادة الخائف المتوقع أن يكثر التفاته ،وتتفتح ألحاظه)) [٥٠] ، فما ترشح من دلالة نفسية من هذه الحركة البصرية تمثلت في إبراز مؤثر الخوف ، فالنفس إذا تأثّرت بمثير بصري ، أو ذهني ، أو سمعي مُخيف ظهر ذلك على جوارحها لا سيّما العيون ؛ فزوغان البصر دلالة على شدة الخوف ؛ لأنّ البصر الزائغ هو ذلكم البصر الذي يميل عن سننه وينحرف [٥١] . ومن صور الأبصار الوجلة في القرآن الكريم ما نجده من وصف لحال المنافقين لقوله تعالى ((أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أولئك لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا)) سورة الأحزاب :الآية : ١٧.

إنّ سياق الآية الشريفة يدور في مضمار وصف خوف المنافقين من القتال وانصرافهم عنه ، وقد تجسّد هذا الخوف في (دوران الأعين) ، وهو موقفٌ صامتٌ قامت فيه العينان بالوظيفة التعبيرية النفسية [٥٢] ، وهي صورةٌ ناطقةٌ لما تضمره نفوسهم [٥٣] ، فقد صاغ القرآن الكريم كل الانفعالات ، والاختلاجات النفسية لهؤلاء في جملةٍ واحدةٍ معبرة هي (تدورُ أعْيُنُهم) ، و((تصورنا لشخص تدور عيناه بهذه الصورة في موقف الخوف يغنينا عن أي كلام ، وتفتح لنفوسنا مجالا فسيحا ، لنتصور ما يدور في دخيلة صاحب هاتين العينين)) [٥٤] ، ودوران العينين يحمل دلالة مختلفة غير الخوف ، كالترقب ، والحيرة ، والتدبير ، والرفض ، والتشكيك [٥٥]...الخ ، والتخصيص الخوف من بين هذه الدلالات جاء تشبيه دوران العين بـ (كالذي يخشى عليه من الموت) ، فدوران الأعين باعثه ذهاب العقل حتى لا يصح منهم النظر إلى أي جهة ، وقيل ((لشدّة خوفهم حذراً أن يأتيهم القتل من كلّ جهة))[٥٦] ، فالأعين تضطرب في أجفانها كحركة الجسم الدائرة من سرعة تنقلها محملقة إلى الجهات المحيطة [٥٧] في ((أنّ دورانَ العين حالة سلوكية تحدث عند الخوف المرتبط باليأس فتدور العين . مع فتحٍ كاملٍ للجفنين . وتفقد تركيزها وقدرتها على الرؤية الواضحة))[٥٨] ، فقد أظهرت لنا هذه الحركة ما تضمره النفوس من اضطراب وفزع ، وخوف . وقريباً من هذه الدلالة النفسية ما نجده في قوله تعالى ((وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ (٢٠) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ)) سورة محمد : الآية ٢٠-٢١.

يصوّر لنا القرآن الكريم جُبنَ المنافقين وتردّدهم عند ذكر القتال صورة واضحة المعالم ، متحرّكة الجوارح[٥٩]، وليتضّح هذا التصوير ، ويشف عن مكنونات نفوسهم المريضة ، فقد شبّه نظراتهم بنظرات المغشيّ عليه من الموت ؛ لتبقى تلك النظرات مُجَسّدة في الأذهان[٦٠] . وبما أن المنافقين يخشون من أن يفتضح أمرهم لو اعترضوا على الأمر الربّاني الذي يحثّ على الجهاد وباللغة الناطقة ، فقد لجأوا إلى التعبير بأعينهم لإخفاء ما يدورُ في أذهانهم ((

فالإنسان يستطيع أن يصمتَ ليُخفي ما في نفسه ، وقد يسيطر على حركاته الجسمية في كثير من الأحيان ، ولكنّه يعجز عن إخفاء نظراته التي تُجَسّد ما يدور في ذهنه ، ووجدانه ، ولهذا يلجأ الناس إلى إشاحة وجوههم ، وتغطية عيونهم بأيديهم في مواقف ، لئلّا يرى الآخرون ما تعبّر عنه عيونهم)) [٦١]. فالدلالة النفسية المترشحة من هذه الحركة تمثلت في إظهار الخوف والفزع الذي يُضْمره هؤلاء المنافقين داخل نفوسهم . ولإظهار الخوف والوجل داخل النَّفس الانسانية من مُشاهدة أمرٍ مُخيفٍ جاء التعبير عن حال الكافرين لما يرون العذاب في قوله تعالى (وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ) سورة الشورى : الآية ٤٥ . فالنظرُ من (طَرْفٍ خفيٍ) يبتدأ ((من تحريكٍ لأجفانهم ضعيفٍ خفيٍ بمسارقةٍ كما ترى المصبور ينظرُ إلى السيف ، وهكذا نظر النّاظرُ إلى المكاره لا يقدر أن يفتح أجفانه ، ويملأ عينيه منها كما يفعل في نظره إلى المُجاب)) [٦٢] ، فالكافرون لمّا رأوا العذاب نظراً خفياً ((أي لا حدّة له فهو كمسارقة النظر ، وذلك من هول ما يرونه من العذاب ، فهم يحجمون عن مشاهدته للروع الذي يصيبهم منها ، ويبعثهم ما في الإنسان من حبٍّ للاطلاع على أن يتطلعوا لما يساقون إليه كحال الهارب الخائف ممن يتبعه ، فتراه يُمْعنُ في الجري ، ويلتفت وراءه الفينة بعد الفينة ، لينظر هل أقترب منه الذي يجري وراءه ، وهو في تلك الالتفاتة أفات خطواتٍ من جريهِ لكنّ حبّ الاطلاع يُغالبه)) [٦٣] . ويرى علماء النفس ((أنّ الأشخاصَ في إثناء وصفهم منظر مروع ، كثيراً ما يقومون بإغلاق أعينهم بشكل عابر ، وبشكل قوي ، أو يقومون بهزّ رؤوسهم كما لو كان ذلك لكي لا يروا أو لكي يبعدوا شيئا بغيضا))[٦٤] ، فالدلالة النفسية لهذه الحركة تمثلت في أن إطباق الجفون وفتحها ناتج عن ردّ فعلٍ لمثير بصري ، أو ذهني ، أو سماعي ((ومن المألوف أنّ الإنسان يهربُ من المكان الخطير ، أو المُرعب ؛ إذ إن الهربَ ردُّ فعل حركي ، ولكنّ الكافرين لا يستطيعون الهروب من العذاب ، ولذلك يضطرون للهروب البصري)) [٦٥] فهذه الحركة البصرية أخفت وراءها نَفْسَاً خائفةً وَجِلَةً من مُثير معين تمثل في رؤية العذاب وعرضه على الكافرين .

المطلب الرابع : الأنظار المتغامزة والدلالة النفسية

تعدّ حركة الغمز بواسطة العين من الحركات البارزة التي تُخفي وراءها كثيراً من الدلالات النفسية ، والغمز في أصل اللغة عبارة عن إشارةٍ بالعين ، والحاجب ، والجفن ؛ يقال غمزه يغمزه غمزاً ، وفيه تغامز القوم ؛ أشار بعضُهم إلى بعض بأعينهم ، والتغامز صيغةُ تفاعل تقتضي المشاركة في الغمز ، والإشارة بالجفن والحاجب استهزاء [٦٦] . والتغامز في أحيان كثيرة يكون نوعاً من أنواع السخرية ، وأحيانا أخرى لا يكون سخريةً ، وإنما لإفهام أمر معين ، أو الخروج من المجلس .

وتترشح من حركة الغمز بالغيون كما أسلفنا كثيرٌ من الدلالات ، وقد وظّف القرآن الكريم هذه الحركة من اللغة غير اللفظية في عرضه لطائفةٍ من الناس ؛ من ذلك الحديث عن المنافقين في قوله تعالى : (وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ

نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا ۚ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) سورة التوبة : الآية : ١٢٧ . فهذه الآية الكريمة تفضح المنافقين ، وتبين دخيلة نفوسهم عن طريق تبادل النظرات فيما بينهم تغامزاً ؛ فالمترشح من هذه الحركة هو أنهم ((تغامزوا بالعيون إنكاراً للوحي ، وسخرية به)) [٦٧] . وقد يكون التغامز لا على جهة السخرية ،وإنما إظهارا لغيظِ نفوسهم ((لمَا في السورة من مخازيهم ، وقبائحهم)) [٦٨] ، وقد يكون التغامز على جهة الإشارة للمغادرة والانصراف ، كراهية سماع السورة النازلة ، قائلين إشارة هل يراكم من أحد ((أي هل يراكم أحد من المسلمين إذا قمتم من المجلس)) [٦٩]. فهذه مشهدٌ كاملٌ حافلٌ بالحركة ترسمه بضعُ كلمات ، فإذا هو شاخصٌ للعيون ، كأنك تراه ، فهؤلاء المنافقون ما إن تنزل سورةٌ إلا وينظر بعضهم إلى بعض ، ويغمز غمزةَ المريب ، ثم تلوح له غرّةٌ من المؤمنين ، وانشغال ، فإذا هم يتسلّلون على أطراف الأصابع في حَذر ، ثم ينصرفون تُلاحقهم من العين التي لا تغفل ، ولا تنشغل دعوةٌ قاصمةٌ تناسب فعلَتهُم المُريبة [٧٠]

وهكذا تعددت الدلالات المتولدة من حركة العيون هذه ، وما ذاك إلا لأنّ العينيين وحركاتها ((لا تتخذ لوناً رتيباً خفياً كدقات القلب ، بل إنّ كل ما في العين يتحرّك ، وبشكل مختلف ؛ الجفونُ تختلجُ ، والأهدابُ ترتعشُ ، والمُقْلة تدورُ ، والحواجبُ تعلو وتهبط ، وإنسان العين يضيقُ ويتسعُ ، وعدسةُ العين داخل المقلة تنقبض وتنبسطُ ، وكثيرٌ من هذه الحركات الظاهرة لها أثرٌ ، ودلالةٌ ، ومعنى في رموز الوجدان تعبّر عن المعاني المستعرة في أعماق النفوس)) (٧١) ، فالدلالة النفسية التي أشارت إليها هذه النظرات الغامزة تمثلت في السخرية ، والاستهزاء ، والغيظ ، والغضب من افتضاح أمر مُرسِل هذه النظرة ، فضلاً عن التشاور والاتفاق على الهروب ، ومغادرة المجلس .

أما تأثير هذه النظرات على المستقبل فإنه تمثّل في معرفة نفوس هؤلاء والحذر منهم ، فهو قد فهم من وراء التغامز لغة متبادلة بين مرسليها تشفُّ عن عداوةٍ ، وتنمُّ عن كيد للآخرين.

ومن صور التغامز بالعين أيضاً استراق النظر ، وذلك نجده في قوله تعالى ((يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ ...)) سورة غافر : الآية ١٩ . أقوال ومذاهب ليس المقام مقامها ، وإنما يعيننا منها ما ينسب الى لغة التغامز ، وهي اللغة غير اللفظية ، فقد قيل عن خائنة الأعين : إنّ خيانتها مسارقة النظر إلى ما لا يحلُّ النظر إليه ، وقيل هو الرمز بها ، والإغماض فيما لا يحب الله [٧٢] . نجد في (خائنة الأعين) استعارة يُراد بها ((الرَّيبُ في عسر الجفون ، ومرامز العيون ، وسمى سبحانه ذلك خيانة لأنّه أمارة للريبة ، ومجانبة للعفّة))[٧٣] . ووجه الصلة بين العين الجارحة والفعل الذي هو الخيانة يتمثل في أن (الأفعالَ التي يقصد بها التكتم بدنيّةٌ فأخفاها خائنة الأعين من عسرِ جفنٍ ، وغمز ، ونظر بعضهم معنى ، ويريد صاحب معنى آخر ، وقلب وهو ما تحتوي عليه الضمائر [٧٤] ، فالغمز بالعين اختلاساً تترشحُ منه دلالةٌ نفسيةٌ تتمثل في الرّيبة ، ومجانبة العفة عند مرسل هذه الحركة . ومن الغمز بالعين أيضاً ما أخبرنا به القران الكريم عن حال الكافرين عند مشاهدتهم للمؤمنين قال تعالى ((إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ، وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ)) سورة المطففين : الآية ٢٩-٣٠ ، فالنصُّ يوضح ويبين نفسية الكافرين ؛ فهم ما إن يمرّ

المؤمنون بهم حتّى (يتغامزون) ؛ أي ((يغمز بعضهم بعضاً ، ويشيرون بأعينهم))[٧٥] ، مستهزئين ، ساخرين ، فالكفّارُ ((دائماً في عداوة ، وحقد ، وتغاير مع المؤمنين ، فلا يلتقي الإيمان مع الكفر ، ولا الدين الصحيح مع الضلال ، ولا الأخلاق العالية مع الأخلاق المرذولة ، فقد كان يصدر من المشركين ألوان متعددة من إيذاء المؤمنين منها ما ذكرته هذه الآيات ، فهو الاستهزاء ، والسخرية من المؤمنين ، والطعن بهم))[٧٦] ، فهذا التغامز من المجرمين ((سلوكٌ إيحائيٌ رامزٌ تقوم به العينُ لتوصيل رسالةٍ كاملةٍ لا تحتاجُ إلى كلام))[٧٧] ، وإذا كان هذا حال المرسل لهذه الاشارة ، فما تأثير ذلك على المستقبل ؟ إنه يُحدث آثاراً تتمثل في قصد ((إيقاع الانكسار في قلوب المؤمنين ، وإصابتهم بالخجل ، والربكة))[٧٨] ، وهكذا توكدت الدلالات النفسية لحركة الأبصار الغامزة .

المطلب الخامس : الأنظار الحائرة والدلالة النفسية :

تنتابنا الحيرةُ في أحيانٍ كثيرةٍ من أشياء ، أو الوقوف على أمور لم نكن نتوقعها ، ويتم التعبير في كثيرٍ من المواقف عن هذه الحيرة بوساطة الأعضاء الجسدية إن لم ينطق اللسان ، فحركة العضو تكون أبلغ من كل كلام يمكن أن ينقل حيرتنا ، وارتباكنا هذا ، ومن بين الأعضاء الجسدية التي تبرز انفعال الحيرة بصورة بليغة حركة العين ، وللعين حركاتٌ كثيرةٌ تشير فيها إلى الحيرة ، وقد ذكر القرآن الكريم هذه الحركات في مواقف معينة أبانت فيها عن حيرة مُرسلها ، وأناته ؛ من ذلك قوله تعالى ((وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ)) سورة إبراهيم : الآية : ٤٢- ٤٣ . إنّ النص القرآني هنا يُعبّرُ عن نظرة الظالمين في يوم الحساب لَمَا يروا العذاب ، وهي نظرةُ الحائر الذي بهت بما لم يكن يتوقعه ، فظل بصرهُ شاخصاً لا يطرف به ، وهو مفتوحٌ ممدودٌ من غير تحريك للأجفان ، قد شغله ما بين يديه حيرة ، وارتباكاً[٧٩] ، فهو دالٌ على الحيرة ، والدهشة ، وسقوط القوة[٨٠] ، وتتكبر حركة شخوص البصر دلالة على الحيرة أيضاً في قوله تعالى ((وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هذا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ)) سورة الأنبياء : ٩٧ . فالنص الشريف يبين حال الكافرين في ذلك اليوم الموعود ، إذ أبصارهم شاخصة ، وحركة الشخوص للأبصار تتضح لما ((ترى شيئاً لا تتوقعه ، ولم تحسب حسابه ، فتنظر مندهشاً يجمد جفنك الأعلى الذي يتحرك على العين ، ، فلا تستطيع حتى أن ترمش ، أو تطرف .... وإذا أردت أن ترى شخوص البصر ، فانظر إلى شخص يفاجأ بشيء لم يكن في باله فتراه بلا شعورٍ ، وبغريزته التكوينية شاخص البصر لا ينزل جفنُه))[٨١] . فحركه الأبصار الشاخصة تُعطي دلالةً نفسيةً تتمثل في حيرة ، وارتباك مرسلها ، ودهشته ، ومن صور الحيرة أيضاً للعيون ما نجده في قوله تعالى : ((فإذا برقَ البصرُ)) سورة القيامة : الآية :٧ . قرأ نافعٌ عن عاصم : (بَرَق) بفتح الراء ، والباقون بالكسر[٨٢] ، والكسْرُ دلالةٌ على التحيّر ، والدهشة ، ومعناه لمَعَ بصرُه من شدة شخوصه ، فتراه لا يَطْرِف ، والعرب تقول للإنسان المتحير المبهوت : قد برق فهو برق ؛ أي فزع ، وبهت ، وتحير ، وبالفتح من البريق أي لمع من شدة شخوصه[٨٣] ، فالقراءتان يمكن أن تُحقّقان دلالة واحدة ، فهو لمع بصره تحيراً من شدة ما رأى ، فهذه الحركة من البصر دلالة على تحير صاحبها وانبهاته . وهكذا تولدت الحركات البصرية الدالّة على الحيرة في القران الكريم ، فهيئتها

تمثّل في تأثر المرسل بأمر معين ، يظهر على بصره سحراً ، وبريقاً فيفهم المقابل مدى الحيرة التي تنساب هذا المرسل لهذه الحركة .

المطلب السادس : الأبصار الخاشعة والدلالة النفسية :

يعد الخشوعُ بالأبصار من الحركات الجسمية التي تخفي وراءها دلالات نفسية كثيرة ، وهي لغة من أبلغ اللغات للتعبير عن الحالة البدنية ، والعاطفية لمرسل هذه الحركة . والخشوعُ بالبصر رميك ببصرك إلى الأرض وغضه ؛ يقال خشع بصره ؛ أي انكسر ، وتخاشعت شبهت بالخاشعين ، ورجل متخشع متضرع ، وأخشعت أي طأطأت الرأس كالمتواضع [٨٤] ، والخشوع الضراعة ، وأكثر ما يستعمل فيما يوجد على الجوارح ، والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب [٨٥] ، وقد ورد ذكر الأبصار الخاشعة في القرآن الكريم في أربع آيات تحدثت كلها عن أهوال يوم القيامة، وموقف الإنسان لما يرى هذا الهول العظيم . قال تعالى ((خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ)) سورة القمر: الآية : ٧ ، خشوع الأبصار سكونها على كل حال لا تلتفت يمنه ولا يسرة [٨٦] ، فالأبصار أصبحت ذليلة وأصحابها لا يستطيعون رفعها من شدة الهول في ذلك اليوم [٨٧]. فالقرآن الكريم كَنّا عن الذلة ، والانخذال في ذلك اليوم عن خشوع الأبصار؛ لأن ذِلّة الذليل ، وعزة العزيز يظهران في عيونهما [٨٨] . وكذلك في الدلالة على خشوع الأبصار على جهة الإذلال ما نجده في قوله تعالى ((خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ)) سورة القلم : الآية : ٤٣. فهؤلاء المتكبرون والمتبجحّون الذين أعرضوا عن ذكر الله يرسم لهم القرآن صورةً تُعبّر عن الذلّة في ذلك اليوم بعد ذلك الكبر والتبجح في الدنيا صورة الأبصار الخاشعة المعبرة عن الذلّة المرهقة ، وهذه الصورة هي المقابلة للهامات الشامخة ، والكبرياء المنقوضة ــ الذلة والانكسار ظاهر عميق مقصود في صورة الأبصار الخاشعة [٨٩]. وهذا المعنى تكرار في (سورة المعارج) قال تعالى : ((خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ)) سورة المعارج : الآية : ٤٤. فخشوع الأبصار استعارة للنظر إلى أسفل من الذل [٩٠] .

ومن الأبصار الخاشعة أيضا قوله تعالى : ((قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ، أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ)) سورة النازعات : الآية:٨-٩ . فهؤلاء الذين اضطربت قلوبُهم من الخوف قد خشعت أبصارهم ، و ((الخشوع حقيقته الخضوع والتذلل ، وهو هيئة الإنسان ، ووصف الأبصار به مجاز في الانخفاض والنظر من طرفٍ خفيٍ من شدّة الهلع والخوف من فضيع ما تشاهده من سوء المعاملة)) [٩١]. فالأبصارُ الخاشعة تُخفي وراءها دلالاتٍ نفسيةٍ عميقةٍ ؛ ذلك أنّ خشوعَ البصر يعدّ ((من المظاهر السلوكية المهمة في التواصل غير اللفظي بالعين ، فهو يُعطي مؤشراتٍ قويةٍ عن الحالة البدنية ، والعاطفية التي يوجد فيها الشخصُ الناظرُ ، وهو سلوكٌ دفاعيٌ يلجأ إليه الشّخصُ إثناء تعرّضه للتفزيع ، واللّوم ، ووسيلةٌ فعّالةٌ في التعبير عن الخجل ، والاحتشام)) [٩٢]. والحق إنّ باب التواصل عن طريق العيون في القرآن الكريم باب طويل ، كما أنّ فضل التواصل عن طريق العين لا تحصى على المرء في مخاطباته اليومية ، فالشاعر العربي يقول:

إنّ العيونَ على القلوب شواهــدٌ فبغيضُها لك بيِّنٌ وحبيـبُها

وإذا تلاحظتِ العيونُ تفاوضتْ وتحــدّثت عما تجــنُّ قلوبـها

يَنْــطِقْنَ والأفــواه صامتــة فما يَخفضن عليك بريبها ومُريبها (٩٣)

من كل هذا يمكن القول إنّه قد ظهر للباحثين من خلال هذا المبحث أنّ للقرآن الكريم قاموسه الخاص في استعمال لغة العيون في الأزمان والأماكن المتعينة وتعلقها بالأشخاص ، فهو يعطينا بُعداً إعجازياً ، ولا يصلح لمثل ذلك إلا اللغة غير اللفظية ، فهي أبلغ في التعبير ، وأوضح في التصوير من غيرها .

الخاتمة والتوصيات :

حاول الباحثان في هذا (البحث) الكشف عن اللغة غير اللفظية في القرآن الكريم بوساطة جارحة العين وأثرها التواصلي ، ودلالتها النفسية ، وذلك لغرض بيان أهمية هذه اللغة ، وإنها في أماكن معينة ، ومواقف مشهودة ، تكون أبلغ في التعبير من اللغة اللفظية ، ويمكن لنا أن نجمل أهم النتائج والتوصيات التي خرج بها البحث على النحو الآتي :

- إن اللغة غير اللفظية ذات بُعد تواصلي مهم ، وهي لا تقل أهميةً عن اللغة اللفظية ، فإنّ قنوات الاتصال بوساطتها تحمل بُعداً دلالياً أبلغ من اللغة اللفظية .
- يمكن تعريف اللغة غير اللفظية أنّها : ((اللغة التي لا يكونُ التعبير عنها بالألفاظ المنطوقة ؛ إنّما بالجوارح ، والأعضاء الإنسانية ، فتصبح الجارحةُ ، أو العضو هما اللفظ الناطق)) .
- كشف البحثُ أنّ الدرس اللغوي المعاصر أولى اللغة غير اللفظية اهتماماً خاصّاً ، وأخذت مساحة واسعة من البحث ، وأن أغلب دارسيها ، وواضعي معاجمها الدلالية هم من المدارس الغربية ، ومن ثمّ فقد وجدنا في التراث العربي والإسلامي ، لا سيما في الجانب اللغوي المعجمي ، والأدبي إشارات كثيرة إلى هذه اللغة ، وأهميتها في الافصاح عن هذه المعنى.
- إنّ (اللغة غير اللفظية) في سياقها التواصلي الحي المشاهد تؤدي أغراضاً ، ووظائف متعددة ، وأنها قد تُدرس من وجهات نظر مختلفة ، ولكن يظل الوجه الأبرز لها ؛ الدراسة النفسية ؛ ذلك أنّ هذه اللغة ، وحركاتها كواشفٌ عن حالاتٍ نفسيةٍ كثيرة في حياتنا اليومية .
- إنّ القرآن الكريم قد استخدم هذه اللغة في كثيرٍ من آياته الكريمة ، وربطها بحالة نفسية ، ومواقف معينة على الدوام ؛ ففيه كثيرٌ من الموضوعات ، والمفاهيم التي تستحق الدراسة وتغني هذه اللغة .

- تعد (العين) رافداً مهماً من روافد (اللغة غير اللفظية) وهي تُفْصِحُ عن حالاتٍ نفسيةٍ معينةٍ ، تتعدد أشكالها ، فالقرآن الكريم استخدم لغة العيون أبلغ استخدام ، مفصحاً من خلالها عن كثيرٍ من المكنونات النفسية الإنسانية التي ربما لا يصل اللفظ المنطوق للإشارة إليها كما تشير إليها حركة العين .
- من خلال الوقوف على دلالة حركة العيون في القرآن الكريم يمكن وضع معجمٍ تعريفيٍ لكل حركة ، فهناك النظرة المزدرية ، وهناك النظرة الوجلة ، و والنظرة الحائرة القلقة ..الخ .

أما التوصيات التي خرج بها البحث فيمكن إجمالها فيما يأتي :

- ضرورة الاهتمام بدراسة هذه اللغة في تراثنا الأدبي والمعجمي ، فهي لغة تؤدّي كثيرا من المهمات مما لا تستطيع اللغة اللفظية أداءه .
- ضرورة وضع معجمات تتعلق باللغة غير اللفظية خاصة بنا نحن المسلمين ، تستند إلى مخزون تراثنا العربي والإسلامي ؛ ذلك أن الحركات الجسدية تتأثر بالشفافية المجتمعية لكل قوم وملة ، وذلك يبرر وضع هذا المعجم الخاص بنا .
- ضرورة الالتفات لدراسة هذه اللغة في القرآن الكريم ، واستشرافها بشكل شامل ، ووافٍ ؛ ذلك أن بعض الدراسات لم تستوف هذه الظاهرة في لغة التنزيل رغم كثرتها ، ولعل هذا الجهد الذي بذله الباحثان يكون مشاركةً متواضعةً تُسهم في تحقيق هذا المطلب .

أ. هـ

الهوامش

(١) الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت :٣٩٢ هـ) : (باب القول في اللغة ، وماهي) الهيئة المصرية للكتاب : ط٤ : جـ١ : ٣٤ .

(٢) ينظر: البيان بلا لسان : دراسة في لغة الجسد : د. مهدي أسعد كرار: دار الكتب العلمية : بيروت : ط ١ : ٢٠٠٧ م .

(٣) المصدر نفسه : ١٩.

(٤) ينظر : البيان بلا لسان : د. مهدي أسعد كرار: ١٩ .

(٥) ينظر : الدلالة الصوتية وأثرها في بيان المعنى (آيات المعاد أنموذجاً) : الأستاذ الدكتور: مناف مهدي الموسوي ، الباحثة جنان صاحب كطافة الموسوي : مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية : العدد ١٥ : السنة الثامنة: لسنة ٢٠١٤ م : ١٦ .

(٦) الصوت اللغوي في القران : محمد حسين الصغير : دار المؤرخ العربي : بيروت : ط١ : ١٩٩٩ : ١٤ .

(٧) ينظر: البيان بلا لسان : ٢٢ .

(٨) ينظر : فصول في علم اللغة العام : دي سوسير: ترجمة : أحمد الكرايحين : دار المعرفة الجامعية : الاسكندرية : ١٩٨٢ م : ١٢١ – ١٢٢.

(٩) البيان بلا لسان : مهدي أسعد كرار : ٢٧ .

(١٠) ينظر: لغة الجسد : كلينتون : ترجمة دار الفاروق : مصر : ط ١ : ٢٠٠٥ م : ٦ .

(١١) الاتصال الصامت وعمقه التأثيري في الآخرين في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية : د. عودة عبد عودة عبد الله : مجلة المسلة المعاصر : القاهرة : ع : ١١٢ : لسنة : ٢٠٠٤م : ٣ . لغة الجسد في القرآن الكريم : أسامة جميل عبد الغني ربابعة : (رسالة ماجستير) : جامعة النجاح الوطنية : ٢١٠ : ١٠.

(١٢) سيكولوجية الواقعية والانفعالات : محمد محمود بن يونس : دار المسيرة : عمان : ط ١ : ٢٠٠٧ : ٤٠ . لغة الجسد في القران الكريم : جميل عبد الغني ربايعة : ١٠ .

(١٣) ينظر: فصول في علم اللغة العام : دي سوسير: ١٢٤ .

(١٤) خطاب الجسم في شعر العذريين : جميل بثينة أنموذجاً : د. ابراهيم جوفان : مجلة : سُرّ من رأى : المجلد: ٨: العدد ٣٠ : السنة الثامنة : ١٨٤.

(١٥) البيان بلا لسان : د. أسعد مهدي كرار: ٣١ .

(١٦) ينظر : البيان بلا لسان : د. أسعد مهدي كرار: ٣١ .

(١٧) خطاب الجسم في شعر العذريين : جميل بثينة أنموذجاً : د. ابراهيم جوفان : ١٨٤ . البيان بلا لسان: ٣٢ .

(١٨) البيان بلا لسان: د. أسعد مهدي كرار: ص٣٢.٣٣ . خطاب الجسم في شعر العذريين : ١٨٤ .

(١٩) دلائل الاعجاز : الجرجاني : تحقيق محمود شاكر : مكتبة النجاتي : القاهرة : ط٢ : ١٩٨٩: ٧٠ .

(٢٠) المصدر نفسه : ٧٠ .

(٢١) البيان بلا لسان : د. أسعد مهدي كرار : ١٦٩ .

(٢٢) الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم : (أطروحة دكتوراه) : مقدمة إلى كلية الآداب : جامعة القادسية : محمد جعفر محيسن العارضي : ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م : ١٩ .

(٢٣) البيان والتبيين : أبو عمرو بن بحر الجاحظ : تحقيق وشرح :عبد السلام هارون : مكتبة الخانجي : القاهرة : ط٧ : ١٤١٨هـ – ١٩٨٨ م : جـ ١: ١١٦ .

(٢٤) البيان والتبيين : الجاحظ : جـ ١ : ٧٦ .

(٢٥) ينظر : البيان والتبيين : الجاحظ : جـ ١ : ٧٦. البلاغة القرآنية في التصوير بالإشارة والحركة الجسمية : د. عبد الله محمد سليمان هنداوي : مطبعة الامانة : مصر : ط١ ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥م : ٩ .

(٢٦) البيان والتبيين : جـ ١: ٧٩ .

(٢٧) ينظر : البيان بلا لسان : ٧٩. ٨٠ .

(٢٨) ديوان علي بن أبي طالب : اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي : دار المعرفة : بيروت : ط٢ : ٢٠٠٤ م : . البيان والتبيان بلا نسبة : جـ ١ : ٧٨ . الأنس والعرس :منصور بن الحسين الآبي (ت ٤٢١هـ) : تحقيق ايفلين فريديار : دار الكتب : بيروت : جـ ١ : ١٠٣١.

(٢٩) جمل من أنساب الأشراف : أحمد بن يحي بن جابر البلاذري : المحقق: سهيل زكار – رياض زركلي : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع : ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م : جـ : ٢ : ٣١٩ .

(٣٠) شرح السنّة : جـ١ : أبو محمد البغوي : المحقق: شعيب الأرناؤوط – زهير الشاويش : ط٢ : المكتب الإسلامي : ١٤٠٣ – ١٩٨٣. جـ١ : ٣١٣ ، الفائق في غريب الحديث والأثر : الزمخشري : تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم : ط ٢ : دار المعرفة : جـ ١ : ٢٤ .

(٣١) فقه اللغة وسر العربية : ٨٦ .

(٣٢) العقد الفريد : أحمد بن محمد المعروف بابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ) : شرح أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الأبياري : دار الأندلس : بيروت : ١٩٩٦ م : جـ ٢ : ١١٥ .

(٣٣) البيتان مما ينسب للشاعر سبط بن التعاويدي . ديوان محمد بن عبدالله بن التعاويدي (ت ٥٨٣ هـ) : اعتنى به مارحوليت بمنطقة المقتطف : القاهرة : ١٩٠٣ م : ٤٩٠ . معاهد التنصيص على شواهد التلخيص : بدر الدين العباسي : المطبعة البهية المصرية : ١٣١٦هـ : جـ ١ : ١٣٢ .

(٣٤) معاهد التنصيص : جـ ١ :١٣١، وقد نسبه إلى محمد بن شبل .

(٣٥) البيان بلا لسان : د. مهدي أسعد كرار : ١٧٣ .

(٣٦) ينظر : الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم : د . محمد الأمين موسى أحمد : دائرة الثقافة والإعلام : الشارقة : ط١ : ٢٠٠٢ م : ١٢٦.

(٣٧) ينظر : لسان العرب : ابن منظور جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ) دار صادر : بيروت : ط٣ : ١٤١٤ هـ : جـ ١٤ : ٣٥٦ : مادة زرى .

(٣٨) ينظر : الجامع لأحكام القرآن :أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن حزم الانصاري الخزرجي : شمس الدين القرطبي (ت :٦٧١ هـ) تحقيق : هشام سمير البخاري : دار عالم الكتب : الرياض : ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣م : جـ ٩ : ٢٧ .

(٣٩) ينظر التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن محمد بن حمد الطاهر التونسي (ت: ١٣٩٠هـ) : الدار التونسية للنشر والتوزيع : تونس : ١٩٨٤ : جـ ١٢ : ٥٨ .

(٤٠) الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم :: ٢١٥ ، البحر المحيط في التفسير : أبو حيان الأندلسي : تحقيق الشيخ : عادل أحمد عبد الموجود : الشيخ علي محمد معوض :دار الكتب العلمية : بيروت : ط:١ : ٢٠٠١ م : جـ ٥ : ٢١٩.

(٤١) التحرير والتنوير : ابن عاشور : جـ ٢٩ : ١٠٧ .

(٤٢) التحرير والتنوير : ابن عاشور : جـ ٢٩ : ١٠٨.

(٤٣) تلخيص البيان في مجازات القرآن : الشريف الرضي : دار الأضواء : بيروت : ٣٤٣ .

(٤٤) ينظر : الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم : د . محمد الأمين موسى أحمد : ص٢١٦

(٤٥) ينظر : في ظلال القرآن : سيد قطب (ت ١٩٦٦م) : دار الشروق : بيروت : ط ١٣: ١٩٨٧ : المجلد السادس : ٣٦٧١ .

(٤٦) ينظر : تأويل مشكل القرآن : ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ) تحقيق : إبراهيم شمس الدين : دار الكتب العلمية : بيروت : ١١١ . جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير : أحمد يأسوف : دار المتنبي : دمشق : ط١ : ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م : ١٥٠ .

(٤٧) ينظر : البيان بلا لسان : د .مهدي أسعد كرار : ١٧٥.

(٤٨) ينظر : البحر المحيط : أبو حيان : جـ ٧ : ٢١١ .

(٤٩) مجمع البيان في تفسير القرآن : الطبرسي : دار الكتب العلمية : بيروت : ١٩٩٧م : جـ ٨ :٩٥ .

(٥٠) تلخيص البيان في مجازات القرآن : الشريف الرضي : ٢١٨ .

(٥١) ينظر : الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم : ٢٢٥ .

(٥٢) لغة الجسد في القرآن الكريم : عمر عبد الهادي عتيق: المجلة الأردنية في الدراسات الاسلامية : جامعة آل البيت : المجلد التاسع : العدد : ١ : ١٠٩.

(٥٣) ينظر : البلاغة القرآنية في الإشارة والحركة الجسمية : د. عبدالله محمد سليمان هنداوي : مطبعة الأمانة : مصر : ط١ : ١٤١٦.

١٩٩٥م :١١٩ .

(٥٤) البلاغة القرآنية في الإشارة والحركة الجسمية : د. عبدالله محمد سليمان هنداوي : ١٢٠.

(٥٥) ينظر : لغة الجسد في القرآن الكريم :عمر عبد الهادي عتيق : ١٠.

(٥٦) الجامع لأحكام القرآن : القرطبي : جـ ١٤ :١٥٢ .

(٥٧) ينظر : التحرير والتنوير : ابن عاشور : جـ ٢١ :٢٩٧ .

(٥٨) الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم : ٢٢٥ .

(٥٩) البلاغة القرآنية في التصوير بالإشارة والحركة الجسمية : ١١٩ .

(٦٠) ينظر : لغة الجسد في القرآن الكريم : د . عمر عتيق : ٩ .

(٦١) المصدر لغة الجسد في القرآن الكريم : د .عمر عتيق : ٩.

(٦٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري : : تحقيق : عبد الرزاق المهدي : دار إحياء التراث العربي : بيروت : جـ ٤ : ٢٣٥ .

(٦٣) التحرير والتنوير : ابن عاشور : جـ ٢٥ : ١٢٧ .

(٦٤) التعبيرُ عن الانفعالات في الإنسان والحيوانات : تأليف : تشارلس داروين : ترجمه وتقديم : مجدي محمود المليجي : المجلس الاعلى للثقافة : القاهرة : ط ١ : ٢٠٠٥ : ٩٧ .

(٦٥) لغة الجسد في القرآن الكريم : ١١ .

(٦٦) ينظر : لسان العرب : جـ ٥ : ٣٨٨ مادة : غمز ، المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية بالقاهرة : دار الدعوة : جـ ٢ : ٦٦٢ : مادة غمز .

(٦٧) الكشاف : جار الله محمود الزمخشري : جـ ٢ : ٣١٠ .

(٦٨) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي (ت : ١٢٧٠هـ) : تحقيق : علي عبد الباري عطية : دار الكتب العلمية : بيروت : ط ١ : ١٤١٥هـ : جـ ٦ : ٤٨ .

(٦٩) المصدر نفسه : جـ ٦ : ٤٨ .

(٧٠) ينظر : في ظلال القران: مجـ ١ : ١٧٤٢ . التفسير القرآني للقرآن : عبد الكريم يونس الخطيبان : دار الفكر العربي : القاهرة : جـ٣ : ١١٤٣ .

(٧١) العيون في الشعر العربي : محمد جميل الحطاب : دار الحوار للنشر والتوزيع : اللاذقية : ط١ : ١٩٩٩م : ٦٠ .

(٧٢) ينظر : الجامع لإحكام القرآن : القرطبي : جـ١٥ : ٣٠٣ .

(٧٣) تخليص البيان في مجازات القرآن : الشريف الرضي: ٢٩٠ .

(٧٤) البحر المحيط : أبو حيان : جـ٧ : ٤٣٨ . ٤٣٩ .

(٧٥) الكشاف : الزمخشري : جـ ٤: ٧٢٤ .

(٧٦) التفسير المثير في العقيدة والشريعة والمنهج : د. وهبة مصطفى الزحيلي : دار الفكر المعاصر : دمشق : ط٢ : ١٤١٢هـ : جـ٣٠ : ٣٤١ .

(٧٧) الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم : ٣٢ .

(٧٨) في ظلال القرآن : سيد قطب : المجلد السادس : ٣٨٦١ .

(٧٩) ينظر : السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير : محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (ت : ٩٧٧ هـ) : دار الكتب العلمية : بيروت : جـ٢ : ١٤٩ .

(٨٠) ينظر : التحرير والتنوير : ابن عاشور : جـ ٣ : ٢٤٦ .الاتصال غير اللفظي في القران الكريم : ٢٢٧ .

(٨١) تفسير الشعراوي : الخواطر : محمد متولي الشعراوي (ت : ١٤١٨ هـ) : مطابع أخبار اليوم : ١٩٩٧ م : جـ ١٦: ٩٦٥٤.

(٨٢) ينظر : البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة : عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (ت : ١٤٠٣ هـ) : دار الكتاب العربي : بيروت : لبنان : ٣٣٢ .

(٨٣) ينظر: تفسير اللُّباب في علم الكتاب : أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي (ت:٨٨٠ هـ) : دار الكتب العلمية : بيروت : جـ ١٩ : ٥١٢٣.

(٨٤) ينظر : العين : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت : ١٧٥ هـ) تحقيق : د. مهدي المخزومي و د. ابراهيم السامرائي : منشورات وزارة الثقافة والاعلام ا: لجمهورية العراقية : ١٩٨٠م : جـ ١ : ١١٢ : مادة خشع . لسان العرب : ابن منظور : جـ ٧ : ٧١ : مادة خشع .

(٨٥) ينظر : المفردات في غريب القرآن : أبو قاسم الحسين بن محمد الرغب الأصفهاني : (٥٠٢ هـ) تحقيق : صفوان عدنان داوودي : دار القلم : دمشق : ط٣ : ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م : ١٤٨ : مادة خشع .

(٨٦) ينظر مفاتيح الغيب ؛ التفسير الكبير : أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي (ت : ٦٠٦ هـ) : دار إحياء التراث العربي : بيروت : ط٣ : ١٤٢٠هـ : جـ ٢٩ : ٢٩٣ .

(٨٧) ينظر : صفوة التفاسير : محمد على الصابوني : دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع : القاهرة : ط١ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م : جـ ٣ :٢٦٧ .

(٨٨) ينظر : الكشاف : جـ ٤ : ٤٣٣ .

(٨٩) ينظر : في ظلال القرآن : مجـ ٦: ٣٦٦٨ .

(٩٠) ينظر : التحرير والتنوير : ابن عاشور : جـ ٢٩ : ١٨٤ .

(٩١) المصدر نفسه : جـ ٣٠ : ٦٨ .

(٩٢) الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم : ٢٢٤ .

(٩٣) ديوان محمود بن حسن الورّاق (ت : ٢٢٥هـ) : جمع وتحقيق : عدنان راغب العبيدي : : مطبعة دار البصري : بغداد : ١٩٦٠م : ٤٥ . الأنس والعرس . الآبي : ١٧٨ ، وقد نسبه إلى ابن درهم . العقد الفريد . ابن عبد ربه : جـ ٢ : ١١٦ ، وقد نسبه إلى محمود الوراق .